شخصيات مجمعية

كانت الساعة الخامسة من مساء يوم الأربعاء ٦ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ (الموافق ٢٤ من فبراير (شباط) سنة ١٩٨٨ م) موعداً لبدء الجلسة العلنية التى عقدت بدار المجمع لتأبين المغفور له الدكتور عمر فروخ عضو المجمع من لبنان .

١ ـ كلمة الافتتاح

للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

(إنا لله وإنا إليه راجعون)

نودع اليوم زميلا كريماً ومجمعياً كبيراً هو المرحوم عمر فروخ . عرفته منذ ربع قرن أو يزيد عرفت فيه الأخوة الصادقة والعلم الغزير والبحث الدقيق .

كان رحمه الله موسوعى المعرفة جمع بين العلم والفلسفة والأدب واللغة ، كما كان عالمى الإنتاج كتب بالعربية ما استطاع الكتابة فيها ، كما أنتج باللغات الأجنبية وكتب بها ، فكتب باللغة الإنجليزية واللغة الألمانية .

أما عطاؤه فى مجمع اللغة العربية فقد كنا جميعاً نترقب حضوره ونتعجب بملاحظاته وكلنا يعرف مدى إيمانه بما يذهب إليه من رأى ، وقد أبت الأقدار إلا أن تمتحنه فأصابه ما أصابه وفقدناه على عجل . تغمده الله برحمته وجزاه عما قدم لوطنه ولغته وأمته خير الجزاء ، وسيلقى كلمة المجمع الزميل الدكتور عبد الكريم خليفة عضو المجمع من الأردن .

كلمة الدكتور عبد الكريم خليفة

في تأبين الدكتور عمر فروخ

بسم الله الرحمن الرحيم

(كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون [1]).

صدق الله العظيم

سيدى الرئيس الجليل ، أيها السادة الزملاء أعضاء مجمع اللغة الخالدة بالقاهرة .

سيداتى ساداتى . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فنحن نجتمع اليوم فى رحاب مجمعنا العتيد فى القاهرة كى نؤبن عالماً من علمائنا الأفذاذ ، كى نؤبن الأديب الفيلسوف عمر فروخ الذى عاش حياته للعلم وخدمة التراث العربى والإسلامى .

ولد الناقد الفيلسوف الدكتور عمر عبد الله فروخ — رحمه الله — فى مدينة بيروت يوم الثامن من شهر آيار (مايو) سنة ١٩٠٦ م .

وتلقى علمه الأول فى الكتاب وفى المدارس الرسمية العثمانية قبل ان ينزل الانتداب فى سورية ولبنان . دخل المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأمريكية سنة ١٩١٩ م . وفى رسالة بعثها إلى أحد أصدقائه يلقى ضوءاً على هذه الفترة المهمة فى تكوينه الثقافى والفكرى . وذلك أنه فى سنة ١٩٢٢ ، وكان قد مر فى صفوف المدرسة الابتدائية فى « مدرسة رأس بيروت » ، التابعة ، على حد قوله ، بحسب المنهج لا بحسب الإدارة ، للجامعة الأمريكية ، اتصل به نفر من جمعية المشروع الخيرى العلمى فى بيروت وعرضوا عليه أن يسلفوه أقساط الجامعة على أن يصبح بعد تخرجه فى الجامعة معلماً . ولنستمع إليه يقول :

« لقد قبلت هذا العرض للسبب التالى ، فى الدرجة الأولى : كانت أحوالنا الاقتصادية

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٣٥ .

صعبة . فمنذ العام ١٩١٩ م (بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى) كنت أعمل فى الصيف فى النهار ، وأعمل فى الشتاء فى الليل فى سبيل الحصول على المبالغ الضرورية لأقساط الدراسة . كان ذلك هيناً على حينما كنت فى القسم الابتدائى . أما بعد ذلك ، حينما انتقلت إلى القسم الاستعدادى فقد أصبح من غير اليسير على أن أجمع بين الدراسة فى النهار والعمل فى الليل . وأسلفتنى الجمعية أقساط السنوات ١٩٢٣ — ١٩٢٨ م (نحو تسعين جنيهاً مصرياً فإن الجامعة الأميريكية فى بيروت كانت تستوفى الأقساط بالعملة المصرية) . ثم إنى وفيت هذا المبلغ كاملا فى عامين (١٩٢٩ — ١٩٣٠)[1] .

ولاشك أن النشأة الأولى ، تركت آثاراً عميقة فى شخصيته ، وفى نظرته للحياة وحب العمل والشعور المسؤول بالواجب ، فكان ، رحمه الله ، رجلا عصامياً بنى نفسه بنفسه .

دخل عمر فروخ المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأمريكية فى بيروت وهو فى السنة الثالثة عشرة ، من عمره ، وذلك سنة ١٩١٩م وفى سنة ١٩٢١ م دخل السنة الثالثة الاستعدادية فى الجامعة الأمريكية ، ونال شهادتها فى حزيران سنة ١٩٢٤ م . وكان أحد خطباء حفلة التخرج وهذا يعنى أنه كان من الطلبة المبرزين . ثم دخل الدائرة العلمية فى الجامعة الأمريكية ، وتخرج فيها عام ١٩٢٨ م ، برتبة بكالوريوس علوم (متخصصاً باللغة العربية والتاريخ) . وبعد أن عمل عدة سنوات فى التدريس ، تابع أديبنا الناقد دراسته العليا فى ألمانيا وذلك من سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٧ م . فتخصص فى الفلسفة واللغة وتاريخ العرب فى أوربة ما عدا الأندلس ، وتخرج برتبة دكتور فى الفلسفة فى ١٩٣٨/٨/٢٧ م .

ويستطيع الباحث فى شخصية فيلسوفنا الأديب عمر فروخ أن يميز ثلاثة مصادر أساسية فى تكوينه الثقافى والفكرى . فكان المصدر الأول يتمثل بالكتاتيب والمدارس العثمانية إلى جانب حياة البيت والأسرة . التى كانت تمر بظروف مادية صعبة شأنها فى ذلك شأن معظم الأسر بعد الحرب العالمية الأولى . ويخيل إلينا أن هذا المصدر قد ترك بصمات واضحة فى حياة عمر فروخ وفى سلوكه ونظرته إلى الحياة وفى القيم والعادات الإسلامية التى نشأ عليها .

أما المصدر الثانى فيتمثل بمراحل التعليم المختلفة فى الجامعة الأمريكية ، ومع أن هذه المرحلة تعتبر أطول مراحل التعليم التى قضاها أديبنا الفيلسوف من عمره ؛ إذ تبلغ حوالى عشر سنوات ، فإن آثارها فى حياته العملية واتجاهاته الفكرية قد لاتتعدى كثيراً التكوين العلمى وتأسيس المنهجية الحديثة فى البحث والتحقيق .

---

(١) انظر الدكتور على زيعور ، صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ ص ٥١ — ٥٢ ، بيروت ، ١٩٨٥م .

أما المصدر الثالث ، فيتمثل بدراسته العليا في الجامعات الألمانية وحصوله منها على شهادة الدكتوراة في الفلسفة ، وعلى الرغم من أنها أقصر الفترات من حيث الزمن ، من سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٧ م ، إلا أنها تركت آثاراً واضحة في اتجاهات عمر فروخ الأخلاقية والسلوكية من حيث جدّه ومثابرته واحترامه لنفسه وللنظام والقانون ، وربما كان لها دور كبير في اتجاهه الفكري .

وأما حياته العملية فقد بدأها منذ تخرجه سنة ١٩٢٨ م ، مدرساً بمدرسة النجاح في نابلس بفلسطين وفي سنة ١٩٢٩ م عين أستاذاً بجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.. وبعد عودته من ألمانيا في سنة ١٩٣٧ م ، حاصلاً على شهادة دكتوراه الفلسفة استأنف التدريس في مدارس المقاصد الخيرية الإسلامية وفي سنة ١٩٤٠ — ١٩٤١ م عين أستاذاً للتاريخ الأموي والعباسي في دار المعلمين العالية ببغداد . ومن سنة ١٩٤١ لم ينقطع عن العمل في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ، سواء أكان ذلك في مجال التدريس أم التوجيه أم الرعاية العلمية والفكرية ، مخلفاً وراءه أجيال من التلاميذ يدينون له بالمحبة والاحترام والتقدير . فكان إلى جانب وجوده مدرساً في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ، فقد عمل أستاذاً زائراً في جامعة دمشق للتاريخ الأموي وتاريخ الأندلس من سنة ١٩٥١ — ١٩٦٠ م . وأصبح أديبنا الفيلسوف ، رحمه الله ، أستاذاً محاضراً في جامعة بيروت العربية للتاريخ العربي في جانبه الحضاري ولتاريخ العلوم عند العرب ، وذلك منذ سنة ١٩٦١ م .

وكان لفقيدنا الراحل نشاط مرموق في عدد من الهيئات العلمية والاجتماعية والأدبية فقد كان عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق ، وعضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وعضواً في جمعية البحوث الإسلامية في بمباي ، وعضواً في المجلس الإسلامي في بيروت ، وعضواً في مجلس الإدارة في بيروت العربية فضلاً عن نشاطه في الأندية والمؤسسات العلمية الأخرى .

وكان ، رحمه الله ، في جميع هذه المؤسسات موضع الاحترام والتقدير ، بما أضفاه عليها من خلقه الكريم ، وإخلاصه الجم ، وعلمه الموسوعي الخصب ، وتفانيه في خدمة دينه وأمته ووطنه . وقد حاز على عدة أوسمة وجوائز علمية تقديرية .

وقد ترك الفيلسوف الأديب عدداً كبيراً من المؤلفات والمترجمات يربو على الستين . وإن إنتاج عمر فروخ يستحق أن يكون موضوعاً لدراسات علمية متعددة . فإنتاجه الأدبي والفكري ، إنتاج غزير يشمل ميادين مختلفة وربما كان أهم ميادين هذه الدراسات في إنتاج عمر فروخ الموسوعي ، يتحدد في

قضايا الأدب واللغة والنقد والتاريخ والفلسفة والسياسة ... وربما كان موضوع العروبة والإسلام فى فكر عمر فروخ من أهم الموضوعات التى تستحق الدراسة فى فكر فيلسوفنا الراحل . وسنحاول فى هذه الكلمة المقتضبة أن نلقى أضواء على هذه الجوانب المتعددة من أدب عمر فروخ . ولكن لابد لكل دارس لأدبه أن يأخذ بعين الاعتبار قضيتين أساسيتين ، أحداهما : الحياة السياسية والثقافية فى الوطن العربى بعامة وفى بلاد الشام بخاصة ، والأخرى شخصية عمر فروخ وتكوينه الثقافى والعلمى ، حيث شخصية العالم العربى توجه إنتاجه الخصب فى ميادينه المختلفة ..

ففى مجال الأدب وتاريخه ، عنى أديبنا عناية فائقة بالتراث ومحاولة تقديمه بثوب جديد ومنهجية علمية إلى الدارسين . فقد وضع كتابه الموسوم : « تاريخ الأدب العربى » فى ستة أجزاء . حاول فيه تقريب الموضوع للدارسين والباحثين وبسط ذخائر الجانب الوجدانى من الأدب العربى للمطالعين . وينطلق عمر فروخ فى تاريخه للأدب العربى من النظرة الكلية الشاملة لوحدة هذا الأدب ، وأنه إذا كان أرخ للأدب فى المشرق ثم أرخ للأدب فى المغرب ، لا يعنى على حد تعبيره أن الأدب المشرقى ينفصل عن الأدب المغربى ، ولكنه اتبع هذا المنهج لغايات الدراسة والبحث وسهولة التنازل . ونحن إذا استثنينا الدراسات التى عقدها حول العصور السياسية وخصائصها الأدبية ، فقد احتوت هذه السلسلة بأجزائها الستة مئات من تراجم الشعراء والخطباء والكتاب والأدباء من ذوى الإنتاج الوجدانى. ووضع المؤلف مقدمة لهذه السلسلة استعرض فيها المؤلفات التى كتبت حديثاً فى تاريخ آداب اللغة العربية ، ووضع كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » لبروكلمان ' المكانة الأولى ... ويعتبره مبتكراً وشاقاً لطريق لم تشق من قبل وهى دراسة قيمة على قصرها ، وتمثل أيضاً روح النقد عند مؤرخ الأدب عمر فروخ .

ومن بواكير أعماله فى دراسة التراث الأدبى كتابه الموسوم : « أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله » . وقد نشره فى بيروت سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ١٩٣٥ م ، وذلك قبل أن يغادر إلى ألمانيا لإتمام دراساته العليا . وإن قيمة هذه الدراسة تكمن فى دلالتها التاريخية فى فكر عمر فروخ الذى ما فتىء ينمو ويتطور فى فترة زمنية تتجاوز الخمسين عاماً .. وفى هذه الدراسة يرى فى المربعات والمخمسات فى الشعر المشرقى جذور فن التوشيح ، ويذهب إلى اعتبار أبى تمام رائد فن التوشيح فى أبياته التى قسمها إلى أقسام متساوية أو شبه متساوية والتزم القافية فى آخر كل جزء أو جعله فى البيت قافيتين .

ولا شك أن عمر فروخ يتبنى بعض الآراء الرائجة فى بعض الأوساط العلمية حول قضية

اطلاع أبى تمام على الفلسفة اليونانية . ويرى أن من أهم المظاهر التى تمتاز بها مدائح أبى تمام ، إشادته بالقومية العربية والدين الإسلامى ...!!! — ليت شعرى ما هى مقومات هذه القومية العربية التى يستقطبها الباحث على أبى تمام !!! فمن الواضح أن عمر فروخ قد أقحم الحديث عن القومية العربية إقحاماً فى هذا المجال ، وخرج من ذلك كله إلى الحكم على أبى تمام بأنه : « شاعر يمثل الإسلام والقومية أجمل تمثيل »(١).

ولاشك أن عمر فروخ كان يقصد هذا التطور فى سيرته العلمية خلال نصف قرن عندما يقول : « . . . ومن حسن الحظ أن الكتب المتأخرة فى التأليف أحسن وأجمع وأوسع ، وأى عامل لا يرجو أن يكون فى يومه أفضل مما كان فى أمسه ، غير أن الكتب الأولى ما تزال فى المستوى الذى يدعو إلى الرضا »(٢). وفى هذا المجال لابد من الإشارة إلى دراساته القيمة عن أبى نواس وابن المقفع والحجاج وابن الرومى والرسائل والمقامات وأبى فراس وشعراء البلاط الأموى وأحمد شوقى « وشاعران معاصران » وغيرها من الموضوعات.

وعنى عمر فروخ بالتاريخ دراسة وتدريساً وتأليفاً ، وكان له منهجه المميز ، فلم ير فى التاريخ قصصاً وحكايات ساذجة يتناقلها الرواة بعد أن تعمل فيها الأهواء عملها ، ويتمثل منهجه فى التاريخ بالتحليل العلمى لأحداث التاريخ وتحولاته . وقد أكسبه هذا المنهج العلمى قدرة كبيرة على النفاذ إلى معرفة الأسباب والعوامل المؤثرة فى مجريات الأحداث والتفرق بينها وبين الأسباب والعوامل الثانوية ... وربما كان للتكوين العلمى فى ثقافة عمر فروخ تأثير كبير فى منهجه العقلانى فى دراسة تاريخ الأمة وتراثها . ومن هنا نشأت أفكاره فى وجوب إعادة النظر رؤية جديدة لتاريخنا العربى ، لأن التاريخ الصحيح ، كما يراه ، لايكون إقليمياً ، فالإقليمية تشوه تاريخ العرب والمسلمين وتفقده عظمته وقيمته ومكانته ، ولذلك طالب بالرجوع إلى كتابة تاريخنا كما كان كتبه عمر بن الخطاب ، وعبد الملك بن مروان ، وطارق بن زياد ، والحجاج بن يوسف ، والمأمون ، وصلاح الدين الأيوبى وغيرهم ...

ولو وقفنا قليلا عند كتابه « تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية » ، وهو كتاب قيم يمثل منهج عمر فروخ فى الدراسة والتحليل ويحاول الربط بين ماضى الأمة وحاضرها ... فيقدم لكتابة هذا ، مقدمة تترجم عن فكره السياسى ، وتعبر عن أحاسيسه الحاضرة

---

(١) انظر عمر فروخ وآثاره فى أربعين عاما ، ١٩٣١ — ١٩٧١ م ، بقلمه ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٥

(٢) انظر عمر فروخ ، أبو تمام ، ص ٩٩ .

حيال أمة قد أوهنها التخلف ومزقتها الصراعات الداخلية وأطماع الدول الأجنبية. وربما لانعدو الحقيقة إذا قلنا إن هذا هو اتجاه عمر فروخ فى نظرته للتاريخ القومى. ولنستمع إليه يقول : « لقد أدى العرب بالإسلام رسالة الدين ورسالة اللغة ورسالة العلم ورسالة الثقافة ورسالة الرحمة ورسالة البطولة ورسالة الحضارة ورسالة الإنسانية . « وإلى جانب هذه الصورة من صفحات الماضى ، ننتقل عمر فروخ عبر اثنى عشر قرنا كى يتحدث عن الحاضر ، إذ يتم حديثه قائلا : « ولكنهم أدوا الرسالات فى ماضيهم البعيد ، أما فى حاضرهم فإن تاريخهم جانب من تاريخ الأمم القوية التى تستبد بحكم بلادهم وتتحكم بمصائرهم .. » ثم يعلو صوته صارخاً متحدياً فيقول : « أى شعوب العرب يخط اليوم طريق مستقبله بيده ؟ أى شعوب العرب يحارب أعداءه اليوم بسلاح من صنع يده ؟ أى شعوب العرب يقف إلى جانب جيرانه كما يقف جيرانه إلى جانب جيرانهم . . . وبعد هذه الصرخات ، وهى أشبه عندى بنفثات مصدور ، وقد ضاق صدر عمر الواسع بالصورة المهينة التى يرى فيها أمته العربية ، فيقول : « أنا أؤمن بأن الأمم تمر أدوار من الصعود والهبوط ، وأنا مؤمن بأن الشعوب العربية سيأتى عليها دور تهتدى فيه إلى طريق صعودها ، ولكننى لا أدرى متى سيأتى هذا الدور . . . » ، وفى مكان آخر من هذه المقدمة ، لتاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية يقول : «وفى عام ١٩٤٥ نشأت جامعة الدول العربية ، وكان أعضاؤها ثمانى دول ... أما أعضاؤها اليوم فتسع عشرة أو يزيد ، وقد كنت أنتظر أن تكون دول العرب اليوم دولة واحدة أو أربع دول على الأكثر ... » ولا شك أن مؤرخنا يرى الطريق واضحاً وأن الحل كامن فيها صح به أمر هذه الأمة فى تاريخها الأول ، فيقول : « ولن نستطيع أن نبدأ طريق الصعود ونحن نتجنب عمداً تلك الطريق التى صعد عليها أسلافنا »[1].

لا أريد فى هذا العرض أن أناقش منهج فيلسوفنا المؤرخ فى كتابة التاريخ ، ولكننى فى كتابة التاريخ وتأكيد دوره فى حياة الأمم كى تعرف حاضرها ومن ثم تستطيع أن ترى مستقبلها ... ويتناول ذلك كله من خلال منهج علمى يعتبر فيه دراسة التاريخ ، على حد تعبيره ، على أنه علم من علوم الفلسفة ، كما يقول ابن خلدون ، قائم على تعليل الحوادث (ربط أسبابها بنتائجها) لا على أنه قصة من القصص .

وعلى الرغم من تأكيد فيلسوفنا المؤرخ أدوار الرجال الأعلام فى صنع التاريخ ، عندما يتحدث عن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه وعن عبد الملك بن مروان وعن المأمون ... وعن صلاح الدين ... ولكنه يؤكد دوماً دور الأمة فى صنع تاريخها ،

---

(١) انظر : عمر فروخ : تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية بيروت : ١٩٧٩ م ص ٧ — ٨.

إذ يقول : « إن التاريخ إنما هو تاريخ الحضارات ، لا تاريخ الأفراد ، وتاريخ الأمم الراقية لا تاريخ الجماعات العائشة فى هذا العالم الفسيح ، لأنها عائشة فى هذا العالم الفسيح فقط ... » وبعد هذه النظرة الخاصة إلى الأمم المستعمرة ، المغلوبة على أمرها يقول : « ثم إن التاريخ هو الوجود الإيجابى للامم لا الوجود السلبى لها . قد يكون للأمم الحاكمة تاريخ ، ولكن الشعوب المحكومة ليس لها تاريخ ... لأن البشر المحكومين لا يطلق عليهم اسم « أمة » .. »[1].

ولكى نضع منهج عمر فروخ فى موضعه الحقيقى ، لابد وأن نسأل أنفسنا ، لمن يكتب عمر التاريخ ولماذا يكتبه ؟ وربما نقترب من الإجابة الصحيحة عندما نعلم ، أن مؤرخنا معلم يكتب التاريخ لطلابه فى جامعة دمشق وفى جامعة بيروت العربية وفى المدارس الثانوية أيضاً ، وذلك فى إطار فلسفته المحددة وفكره العربى الإسلامى .

وقد وضع عمر فروخ أيضاً عدداً من الكتب التاريخية تتفاوت فى موضوعاتها ومنها : تاريخ الجاهلية ، وكتاب العرب والإسلام فى الحوض الشرقى من البحر المتوسط ، والعرب والإسلام فى الحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط ، والعرب فى حضارتهم وثقافتهم ...

ويتجلى فكر عمر فروخ الفيلسوف فى ثنايا تأليفه وفى مواقفه الحياتية التى عاشها مخلصاً لرأيه وسط الزعازع والمؤثرات وحروب الحاقدين على تاريخ الأمة وتراثها والمنشقين عن كيانها . فقد آمن بوحدة الفكر الفلسفى ، وكان له موقف من قضية المعرفة يذكرنا بموقف أخوان الصفا وخلان الوفاء فى القرن الرابع الهجرى ، عندما حاولوا تقريب المعارف العلمية والفلسفية إلى أذهان عامة المثقفين وهذا ما يفسر مقولته : « ما دامت الشمس للجميع فلم لا تكون المعرفة للجميع أيضا » .

وكذلك كان فهمه للعلاقة بين الدين والفلسفة ، حيث رأى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى دعا الإنسان إلى التفكير فى كل شىء ..... وبينما كانت الفلسفة عدوة الدين عند النصارى ، كانت الفلسفة فى الإسلام ، كما يقول ابن رشد : « صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة » ..... وهذه مقولة معروفة جيداً فى الفكر الإسلامى ، حيث يتمثلها التيار الذى أخذ على عاتقه التوفيق بين الفلسفة والدين ..... ومن خير ما يمثله قصة « حى بن يقظان » لابن طفيل ....

وتتميز فلسفة عمر بأنها إنسانية تربوية ، فالبراعة فى العلم على حد تعبيره ليست قائمة على الذكاء فقط ، ولكنها قائمة أيضا على

---

(١) انظر : عمر فروخ ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، بيروت ١٩٧٩ م ، ص ٥ .

الجهد وعلى السعى والمثابرة وأن البارع فى عمل ما إذا انقطع مدة عن ممارسة ذلك العمل قلت براعته فيه ، وربما بطلت . . . . وكثيرة هى الآراء المتناثرة التى تعبر عن فلسفة عمر . . . . وهو يجل العمل والخبرة محلا مهما إلى جانب الاستعداد الفطرى . إذ يفسر الحالات التى تطرأ عند الشخص الواحد فيقول : « إن الاستعداد الفطرى واحد ولكن الإختبار إذا طال صقل الاستعداد وسهل عليه العمل ، ثم أكسب العمل تنظيما ووضوحا . . . . » وكان الالتزام أساساً فى سلوك عمر فروخ وفى قلمه .فقد وجد فى مهنة التدريس مهنة وسلوكاً ، ونظراً فى الحياة وطريقاً لنهضة المجتمع واستعادة القوة للإسلام فى الحضارات الراهنة .

أما نقد عمر فروخ ، فهو جزء من نظرته إلى الحياة ، فى إطار فلسفته والتزامه الفكرى وهو أيضاً يعكس شخصية عمر فى حدته وجداله . والنقد عنده أداة معبرة من أدوات الوصول إلى الحقيقة والدفاع عنها . . . وقد شمل النقد عنده معظم ميادين المعرفة ... وكما يترجم عنه صوته الحاد إذا ما استثاره الغضب فإنه يترجم عنه أسلوبه اللاذع إذا ما تعلق الموضوع بالإساءة إلى تراث الأمة أو لغتها أو فكرها ..... ولنقف قليلا عند تقييمه لبعض الكتب فى تاريخ الأدب يقول عمر ، رحمه الله ، « أما إذا كان هنالك كتاب ككتاب اسمه « الآداب العربية وتاريخها » لجرجس كنعان (بيروت سنة ١٩٣١ م) فمن احترام العلم ومن الستر على صاحبه ألا يذكر . ومثل هذا يقال فى كتاب شعراء النصرانية قبل الإسلام ، وشعراء النصرانية بعد الإسلام للأب شيخو ، وفى الكتيبات التى استقت منها . فإن هذه الكتب كلها بنيت على أساس فاسد ، وما بنى على فاسد فهو فاسد . كان الأب لويس شيخو . . . . ينقب وينقر ويجهد نفسه ولا هم له إلا أن يثبت أن شاعرا من الشعراء الجاهليين كان نصرانياً على مذهب معلوم . . . . « وكذلك فعل عمر فى نقده لأعمال » هيئة الدراسات العربية فى الجامعة الأمريكية ببيروت . . . وجملة القول فإن النقد الأدبى والاجتماعى والفكرى واللغوى يكون معلماً بارزاً فى حياة فيلسوفنا الناقد . . .

أما أسلوب عمر الساخر اللاذع ، فإنه أداته فى جميع المجالات ، ولا يقتصر على ميدان بعينه ، ولكنها سخرية ، تذكرنا بأسلوب الجاحظ ، تدفعنا إلى الضحك دون تجريح أو إثارة أحقاد ، ونسلك فى هذا الباب الدعاء الذى ختم به كتابه القيم الموسوم « التصوف فى الإسلام » يقول : « اللهم فاحمه من أصحاب المراء وسراق الآراء الذين يظهرون العلم ويبغون الظلم ، ثم يسطون على آراء الناس وهم يتسترون بمناصب وصلوا إليها ودعايات اقتدوا عليها . واحمه اللهم أيضا من حسود حقود كنمور كنود ، لا ينفع الناس بشىء ولا يدعهم يلجأون إلى فىء ، يعز عليه أن يرى رجلا يكتب كلمة لا يستفيد هو فيها درهماً ، فيرى الناس كلهم من خلال نفسه ويود أن لو دفعهم جميعاً إلى رمسه .

اللهم إن أمثال هؤلاء قذى فى عين العلم فانفه عنها . إنك السميع المجيب »[1]

وأما نتاج فيلسوفنا المنافح عن الإسلام ، فإنه يستحق الدراسة والبحث . فقد كانت له بحوث وموضوعات ألقيت فى عدد من المؤتمرات والمناسبات أو نشرت فى المجلات والصحف ، وقد نذر حياته كلها للدفاع عن العروبة والإسلام . وقد جمع كثيراً من هذه المقالات ونشرها فى كتابه الموسوم : « تجديد فى المسلمين لا فى الإسلام » ، بيروت ١٤٠١ — ١٩٨١ م . وقد قدم إليها بقوله : فى هذه البحوث والموضوعات آراء يقصد بها هنا أن تكون من باب الاجتهاد الشخصى مأخوذة من مصادر الإسلام ومعروضة على العقل والمنطق . ومع أنها كلها راجعة إلى أعمال السلف ومعروفة المظان عند الفقهاء ، فليس معنى هذا أنها وحدها صحيحة وأنه لا يجوز العمل بغيرها : إنها آراء صحيحة فى نفسها إلى جانب الآراء الصحيحة الواردة عند الفقهاء ، ثم إنها أيضاً خاضعة للمناقشة » ونحن نرى فى هذه التقدمة خلاصة وافية لمنهج عمر فى دراسة التراث متكئاً على النصوص فى مصادرها الأولى ، وممعناً النظر فيها من خلال العقل والمنطق . وأما كتابه المعروف « التصوف فى الإسلام » بذل فيه جهداً علمياً كبيراً .... وإن موقف عمر من التصوف مبنى على دراسة قد امتدت حسب تعبيره إلى أكثر من عشر سنوات . . . وقد اختار عنوان كتابه بعناية ودقة فهو « التصوف » فى الإسلام ، وليس «التصوف الإسلامى » لأنه ينكر أن يكون هنالك تصوف إسلامى .

ويربط الفيلسوف الأديب عمر فروخ بين الإسلام والعروبة ، ويرى أن اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، تمثل أمتن هذه الروابط وأقواها . وكيف أن هذه اللغة الشريفة قد اتسعت فى أوجه دلالاتها من غير أن تتبدل أو تنحدر عن فصاحتها . . . وله فى هذا الميدان كتاب « عبقرية اللغة العربية » وهو فى الواقع مجموع بحوث ، قد ألقيت فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، أو فى اجتماعات مختلفة . . . يؤكد المؤلف من خلالها مقدرة اللغة العربية على القيام بجميع وجوه التعبير فى جميع ميادين الحياة . . .

وإن الدارس الذى يستعرض الجوانب العلمية المتعددة لإنتاج البحاثة الأديب عمر فروخ ، لا بد وأن يقف عند كتابه المهم الموسوم « عبقرية العرب فى العلم والفلسفة » وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية منذ سنة ١٩٥٤ م . ويحدثنا ، رحمه الله ، عن الغاية من وضع هذا الكتاب فيقول : «ليست الغاية من هذا الكتاب أن يكون أحكاماً براقة وكلمات مرصوفة ، فيكون تمدحا بالماضى وفخراً بالأجداد ، ولكن الغاية منه أن ندل

---

(١) انظر : عمر فروخ، التصوف فى الإسلام، بيروت ، ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

على مكانة العرب بما نعرضه من آرائهم ونظرياتهم . . . . « ويربط عمر دائما بين الماضى والحاضر فيقـــول : « فلعلنا إذا رأينا عظمة ماضينا ، ومدى تأخرنا فى حاضرنا ، أن نستطيع الوثوب إلى المستقبل وثبة صحيحة . » ويحتل التراث فى فلسفة عمر مكانة جوهرية فى حياة الأمم إذا يقول : « إن حياة الأمم رهينة بحياة تراثها . فالأمة التى لا تراث لها لا تاريخ لها . وإن الأمة التى لا تاريخ لها ليست إلا كتلاً بشرية لا وزن لها فى ميزان الأمم . » ويعلو صوت المؤلف فى موضع آخر فى وجه أعداء الأمة فيقول : « ولم نعلم فى تاريخ الإنسانية أن ثقافـــة ما هوجمت بمثـل العنف الذى هوجمت به الثقافة العربية . ذلك لأن ثقافتنا بخصائصها وميزاتها سياج حقيقى لنا ، والرغبات فى تمزيق هذا السياج كثيرة ظاهرة للعيان ، لا حاجة إلى الدلالة عليها ، ثم إن الغاية من تمزيق هذا السياج تمزيق الأمة العربية نفسها وهذا ما يرمى إليه المستعمرون »[1] .

وفى آخر الكتاب ينقد المؤلف الأوضاع العربية الحاضرة ، ويؤكد أهمية العلم فى حياة الأمة ، وينعى على العرب حاضرهم الاستهلاكى ... وينقد أنظمة التعليم ومناهجه وبرامجه ويدعو إلى ثورة علمية وتربوية كى تستطيع أمتنا مسايرة الحضارة الحديثة .

وجملة القول فإن إنتاج عمر فروخ رحمه الله ، يستحق أن يكون موضوعاً لدراسات علمية متعددة . وأن هذا الإنتاج الخصب لا يمكن أن يفهم على حقيقته إلا من خلال دراسة الأحداث التى عاشها المؤلف. فقد أثر فيها وتأثر بها . . . وكان آخرها اغتيال ولده مازن ، فكانت قاصمة الظهر .

خاتمـــة :

وبعد اغتيال ولده ببضعة أشهر وفى يوم السبت الواقع فى السابع من تشرين الثانى سنة ١٩٨٧ م ، توفى الفيلسوف العربى عمر فروخ عن عمر يناهز الحادى والثمانين عاماً فقـــد كان ، رحمه الله ، وقـــد عرفته عن كثب ، زميلا كريماً وعالماً جليلا وفارساً لا تلين له قناة فى الدفاع عن الإسلام والعروبة وعن كل ما هو حق .

وقد أغنى الخزانة العربية بمؤلفات قيمة وقضى حوالى ستين عاماً من عمره الخصب المعطاء فى خدمة لغة القرآن وتأصيل جذور وحدة الأمة وإزاحة غبار القرون عن تراثها العظيم ، ليقدمه إلى طلابه وأبناء أمته فى ثوب قشيب ، تزينه اللغة الجميلة والمنهجية العلمية وكان ، رحمه الله ، حريصاً كل الحرص من خلال ما يضفيه من رونق عقلانى على بحوثه

---

(١) انظر : عمر فروخ ، عبقرية العرب فى العلم والفلسفة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ، ص ٢٢ — ٢٣ وتأتى بالمؤلف يشيرها هنا إلى كتابه القيم الذى وضعه بالاشتراك مع الدكتور مصطفى خالدى بعنوان : « التبشير والاستعمار فى البلاد العربية » وقد ترجم إلى اللغة الروسية .

وكتاباته أن يصل حاضر الأمة بماضيها وأن يكون رائداً لفجر مستقبل زاهر ، يستبين شعاعه من خلال حاضر مهين ، تلفه ظلمات تراكم بعضها فوق بعض ، وتكتنفه المؤامرات والفتن وتستهدفه النزوات الاستعمارية ، تبشيرا وفكراً واستغلالا واستيطاناً واجتياحاً عسكرياً فى البر والبحر والجو . . . .

وكان ولده مازن ، رحمـــه الله ، من ضحايا هـــذه الفتن العمياء . . وقد شـــاء القدر أن يفجع المربى الفيلسوف ، وقد دلف إلى أعتاب الواحدة والثمانين من عمره بفلذة كبده وقد ذهب ضحية قذيفة عمياء . . وسقط المصاب جللاً على نفس الوالد الشيخ ولكن غالبه بالإيمان العميق والصبر الجميل . ولم ينقطع البحاثة المؤرخ عن العمل والتأليف فقد حدثتنا الصحف أنه كان قبل أسبوع واحد من وفاته ، رحمه الله ، يحاضر من على منبر النادى الثقافى العربى فى ذكرى مرور ثمانمائة سنة على معركة حطين . وبعد ما نقل بعض الأخبار من مصادرها كما تقول الصحيفة ، تساءل بمرارة : « أين هو صلاح الدين منقذ الأمة العربية اليوم » . . . .

رحم الله عمر ، الفيلسوف والأديب والمؤرخ الناقد ، رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه الله خيراً عن خدمة أمته وتراثها العظيم ولغتها المجيدة لغة العروبة والإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الكريم خليفة
عضـــو المجمع من الأردن

* * *

٣ ــ كلمة الختام

للدكتـــور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

الشكر الخالص للزميل الكريم على الدراسة الشاملة التى أعدها عن فقيدنا الراحل التى استوفت جوانب تاريخه الحافل .

وشكرالكم على تفضلكم بالإسهام معنا فى تكريم الراحل العظيم تغمده الله برحمته .

* * *

كانت الساعة الخامسة من مساء يوم الأربعاء ١٣ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ (الموافق ٢ من مارس (آزار) سنة ١٩٨٨ م) موعدا لبدء الجلسة العلنية التى عقدت بدار المجمع لتأبين المغفور له الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى عضو المجمع من العراق

١ ـ كلمة الافتتاح

فى تأبين الفقيد
الدكتور احمد عبد الستار الجوارى
للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنا لله وإنا إليه راجعون »

نودع اليوم فقيدا عزيزا وفقيها عظيما ورفيقا أمينا هو الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى فالناس — أيها السادة — كخيل السباق ، السابق السابق فيها الجواد ، ولقد كان فقيدنا الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى رحمه الله — سابقا فى كل شىء ، سابقا فى درسه وتعلمه ، فقد نهل ما وسعه من حياض بغداد ، ويوم أن استكملها لم يقنع بها ، بل قصد القاهرة والتحق بكلية الآداب ، وحصل على الدكتوراة ، وكان سابقا أيضا فى عطائه لدى تلاميذه ، وأتباعه ، وقد خلف عنهم أجيالا ، وكان سابقا فيما كتب وألف إن فى النقد أو فى اللغة أو فى النحو والصرف ، وإن فى غير ذلك ، وكان سابقا فى أصدقائه ، يسأل عن الغائب ، ويجيب من كان فى حاجة ، وكان أحب الناس لمن اتصل به .

أما الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى المجمعى فأشهدكم أننا كنا نترقب دائما ملاحظاته الدقيقة ، ولم يكن يتكلم مطلقا لمجرد الكلام ، تغمده الله برحمته وجزاه عما قدم لوطنه ، ولغته ، وأمته خير الجزاء وسيلقى كلمة المجمع عنه الزميل الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع من سورية .

ثم يعقبه الأستاذ عبد السلام هارون الأمين العام للمجمع فيتلو كلمة أرسلت إلينا من اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع المراسل من العراق .

كلمــة الدكتور عدنان الخطيب

فى تأبين الدكتور أحمد عبد الستار الجواري

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »

سيدى الرئيس سادتى الأجلاء :

لقد نعمت بصحبة فقيد العربية أحمد عبد الستار الجوارى فى المؤتمرات السنوية لمجمع اللغة العربية لمدة سنوات خلت ، كان الفقيد أثناءها خير إنسان يصادق ، وخير رفيق يصاحب ، وخير زميل يعاشر إذا ما أوينا إلى الفندق نستجم فيه ، نتحدث معه فيفيد حديثه ، وتتحدث إليه ، فتراه مصغيا إليك بكل جوارحه إذا حدثك فألفاظه منتقاه تخلو من الحشو والابتذال ، وإذا حدثته أبدى البشاشة والتلهف لسماع بقية الحديث يجامل محدثه على أنه ينفر من الغلو فى المجاملة ، وإذا جر الحديث إلى النقد رأيته ينتقد برفق ولين مبتعدا عن الغيبة والتجريح .

وأنا لست أدرى ما الذى ذكرنى بموقف أحمد شوقى من حافظ إبراهيم ، عندما نعى إلى الصديق أحمد عبد الستار الجوارى ؟ .

كان شاعر النيل حافظ إبراهيم أصغر سنا من أمير الشعراء أحمد شوقى ، غير أن رحمة الله استأثرت بحافظ قبل شوقى ، فرثى أمير الشعراء زميله حافظ بقصيدة استهلها بقوله

قــد كنت أوثر أن تقول رثائى
يامنصف الموتى من الأحياء
لكن سَبَقْتَ ، وكلُّ طولِ سلامة
قَدَرٌ وكل منيَّةٍ بقضاء
الحقُّ نادى فاستجبتَ ولم تزلْ
بالحقِّ تحفلُ عند كُلِّ نداء

* * *

سادتى ، قبل عامين ، وفى إحدى جلسات مؤتمر الدورة الثانية والخمسين لمجمع اللغة العربية ، وقف الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى على منصة المجمع ، مع ثُلَّةٍ من العلماء ممثلين لعدد من الأقطار العربية ، وكنت بينهم الأخير ، وقفنا يكرمنا المجمع بإعلان ضمنا إلى صفوف رجاله المناضلين عن الفصحى الذائدين عن لغة الذكر الحكيم .

ووقف الأستاذ الجليل عبدالسلام هارون الأمين العام للمجمع يقول باسمه : « ليس كنزا واحـــدا هذا الذى نقدمه إلى مجمـــع اللغة العربية بالقاهرة ، وإلى دنيا التقدير والتكريم ، إنه عِقْدٌ من الكنوز لايقدَّرُه الثمن ، ولا يقاربه التعداد والإحصاء لما حواه من درٍّ ، واشتمل عليه من ركاز . .

❊ ❊ ❊

وقبل أن تندمل جراحنا بوفاة كبير المكرمين الدكتور حسنى سبح بدمشق ، جاءنا من بغداد من ينعى الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى . لقد كان فقيدنا الجديد فقيد مجمعنا الخالد بجهود أعضائه العاملين ثانى المكرمين فى الدورة قبل الماضية ، تلبية لدعوة الحق إلى لقائه ، رحمهما الله وحفظ الآخرين ذخرا للعربية ، إنه خير مسؤول .

❊ ❊ ❊

إن وفاة عالم من العلماء خسارة للعلم وأهله كبيرة ، فإذا كان العالم من المرموقين المتضلعين بالعلم ، فالخسارة أجل من أن تقدر ، لذا كانت خسارة العربية بوفاة الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى جسيمه . جسيمة .

لقد كان فقيدنا أحمد واحدا من عصبة من العلماء الأجلاء الذين عقد مجمع اللغة العربية على جهودهم الآمال العراض فى خدمة العربية والزود عن الفصحى ، تحدوهم إلى ذلك عروبتهم الأصيلة ، إلى جانب إيمان راسخ بأن لغتهم شرفها الله بالذكر المبين ، فالحفاظ عليها واجب دينى ، والدفاع عنها سبيل إلى الشهادة .

❊ ❊ ❊

لقـــد استأثرت رحمة الله ، بأحمد عبد الستار الجوارى يوم الجمعة فى الثالث من جمادى الآخرة من عام ١٤٠٨ المصادف الثانى والعشرين من كانون الثانى (يناير) الماضى من سنة ١٩٨٨ فجاءة وهو يتهيأ لأداء فريضة الجمعة ، وكان فى أوج عطائه الفكرى وكامل نشاطه الذهنى .

وكان فقيدنا قد ولد فى مطلع شهر المحرم سنة ١٣٤٤ للهجرة الذى يصادف يوم الثانى والعشرين من شهر تموز — يوليو — سنة سنة ١٩٢٥ للميلاد ، فيكون يوم وفاته فى الثانية والستين وستة أشهر كاملة تغمده الله بالرحمة والرضوان .

ولد الفقيد بمحلة الكرخ أشهر أحياء بغداد القديمة ، العريقة ببيوتاتها ، الأصيلة فى انتمائها العربى ، ولد فى بيت من تلك البيوتات المشهود لها بالتقوى والورع والتمسك بأهداب الشريعة الإسلامية والتحلى بالأخلاق العربية المحمودة من حمية ووفاء ودماثة خلق واستقامة وصراحة ومودة وتآزر وتعاون على البر والمعروف .

أتم الفقيد دراسته الإبتدائية والثانوية فى الكرخ من بغداد ، ثم التحق بدار المعلمين العالية ، وتخرج فيها على أيدى قدامى شيوخها طه الراوى ، ومهدى البصير ، وعبد الوهاب عزام ، وزكى مبارك ، كما تابع تلقى

العلم على شيوخه يومئذ فى بغداد أمثال : قاسم القيسى وحمدى الأعظمى .

وجاز الفقيد فى تخرجه بدار المعلمين العالية على مرتبة الشرف ، فأوفدته وزارة المعارف — كما كان اسمها بعثة علمية إلى كلية الآداب فى جامعة القاهرة ، فتابع فيها تحصيله العالى ، حتى حاز درجة (الإجازة) مع الامتياز سنة ١٩٤٥ م ، ثم على درجة (الماجستير) بمرتبة الشرف سنة ١٩٤٧م حاملا تقدير كبار أساتذته فى مصر : طه حسين ، وأحمد أمين ، وأحمد الشايب ومصطفى السقا ، وأمين الخولى ، وأندادهم .

وعاد فقيدنا إلى بغداد فعين مدرسا للنحو فى دار المعلمين العالية ، ومع التدريس انتسب إلى كلية الآداب فى القاهرة مجددا للحصول على شهادة (الدكتوراه) ، فلما نال هذه الدرجة بمرتبة الشرف سنة ١٩٥٣ ، عاد إلى التدريس فى بغداد ، حتى إذا ما نجحت ثورة تموز (يوليو) سنة ١٩٥٨ عين مديرا عاما لوزارة التربية فمارس وظيفته الجديدة دون أن ينقطع عن التدريس وإلقاء المحاضرات ، ثم عين عميدا لكلية الشريعة وأستاذا فى كلية التربية حتى عام ١٩٦٢ يوم انتخب نقيبا للمعلمين فى الجمهورية العراقية . وأسهم الفقيد بالحركة السياسية التى قامت بثورة الرابع عشر من رمضان الموافق لشهر شباط — فبراير — من سنة ١٩٦٣ فصار وزيرا للتربية والتعليم حتى شباط — فبراير — سنة ١٩٦٤ . وفى عام ١٩٦٨ إنتخب للمرة الثانية نقيبا للمعلمين ، وفى تموز (يوليو) من السنة نفسها عين من جديد وزيرا للتربية حتى أوائل عام ١٩٧٠ إذ عين وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية ، ثم نقل وزيرا التربية حيث بقى حتى سنة ١٩٧٥ ، ثم عين وزير دولة فوزيرا للأوقاف حتى سنة ١٩٧٩ .

اشترك الفقيد بحكم المناصب التى كان يتولاها فى كثير من الندوات والمؤتمرات العربية والدولية ، وأسهم فى أعمالها وتحرير توصياتها حتى غدت له المكانة المرموقة فى المحافل والهيئات العربية ، معروفا بخلقه القويم وتمسكه بالمبادىء التى يحث عليها الإسلام ، وحرصه الشديد على أهداف الأمة العربية ومصالحها .

* * *

وفى سنة ١٩٦٥ انتخب المجمع العلمى العراقى الفقيد أحمد عبد الستار الجوارى عضوا عاملا فيه ، ثم انتخبه كل من مجمع اللغة العربية فى دمشق وفى القاهرة عضوا مراسلا ، وفى سنة ١٩٨٥ انتخبه مجمع القاهرة عضوا عاملا فيه بعد أن ظل سنوات عديدة يشارك فى مؤتمراته السنوية ، وقد استقبله أستاذنا الجليل عبد السلام هارون فى الجلسة الثامنة من جلسات مؤتمر الدورة الثانية والخمسين .

وكان ممثلو معلمى الأقطار العربية قد اختاروا الفقيد سنة ١٩٦٩ رئيسا لاتحاد المعلمين العرب وظل يجدد انتخابه حتى نهاية عام ١٩٨٢ .

إن للفقيد عددا من المؤلفات والأبحاث مطبوعة ومنشورة كما أنه اشترك مع نفر من زملائه فى تحقيق بعض كتب التراث وفى وضع عدد كبير من المصطلحات فى مختلف العلوم .

إن نظرة واحدة فى ماتركه الفقيد من مؤلفات ، وكلها قيم مفيدة تعطينا فكرة واضحة عن عمق تفكيره وسعة أفقه وشدة إيمانه وعظيم جرأته فى مخالفة علماء النحو العالقة ، وبين يدى كتابه « نحو القرآن » وهو خير شاهد على ماأقول .

ذكر الفقيد وهو يقدم كتابه إنه ثمرة من ثمرات التأمل والإمعان فى العبارة القرآنية على مدى زمن غير قصير ، كان بدأ بممارسة ماكتبه ابن هشام فى شرحه على الألفيه وفى كتابه مغنى اللبيب ، من دقة العبارة واستبعاد للفضول فى الأسلوب وفى القاعدة النحوية ، حتى تكشفت له حقائق تثبت تقصير النحاة عن استقصائها والرضوخ لها ، مما دفعهم إلى وضع قواعد النحو مستندين إلى مالا يرقى إلى المألوف الجيد بله الرفيع من الكلام ، كما استندوا إلى القياس والاستنتاج الذى لاتقوم على أساس موضوعى .

وانتهى الفقيد ، بعد كل هذا ، إلى القول : « كان خليقا بمن وضعوا النحو وأسسوا قواعده أن تكون المادة القرآنية أهم مايقيمون عليه تلك القواعد ويستندون إليه فى وضع النحو » .

وقد يسر الله لفقيدنا الكبير ، بتشجيع من زملاء رأوا فى أفكاره أمورا جديرة بالبحث والدراسة ، مما حمله على إصدار كتابه الملمح إليه ، عالج فيه إحدى عشرة مسألة من مسائل النحو العريضة فى أحد عشر فصلا ، بدأها بمسألة المبتدأ والخبر لأنهما عماد التركيب وأحد أصوله وصورة الإسناد فيها بينة ولاخلاف على وجوب ذكر طرفيهما بالفعل أو بالقوة ، فإن حذف أحدهما ، أوجب النحاة تقديره حتما حتى يقوم ركنا الجملة فى الكلام .

وضرب الفقيد أسئلة كثيرة مستشهداً بآيات من القرآن الكريم ، ذاكراً إعراب النحاة للجمل الإسمية فيها مع تقديرهم لأحد ركنيها إذا وجدوه محذوفا تمسكا بجزئى الجملة فى القواعد التى وضعوها للجملة الاسمية . إلى أن قال : إن « تقدير مالم يذكر منهما ، وتأويل الكلام بحيث تذهب روعته ، ويضمحل أثره فى النفس « فالزمخشرى لما أراد إعراب قوله تعالى

فى سورة يونس : « قل إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون * متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم[1].. . * قال ، « أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا »

وينهى الفقيد تعليقاته بذكر حقيقة ذات طرفين هما :

الأول : إن بعض الأسماء التى يؤتى بها فى حالة الإسناد تكون مشحونة بالمعنى والإيماء بحيث لاتحتاج إلى مايوضحها أو يصفها أو يسند إليها .

الثانى : الاكتفاء بمجمل مايدل عليه السياق من معنى الوصف والإسناد دون التقيد بورود لفظ يشار إليه بضمير أو نحو ذلك .

وفى فصل عقده الفقيد لبحث مسألة (حذف القول) مما يكثر وروده فى القرآن الكريم ، وهو أشبه مايكون بلوحة أسقط منها مالاحاجة به من خطوط ابتغاء التنويه بجوهر الموضوع ، وهو أيضا ضروب الانقطاع الذى يحمل السامع أو القارى على توقع أمر ذى بال . ولو اتصل الكلام لما أثار قدراً من الانتباه والاهتمام مثل الذى يثيره الانقطاع ، تأمل قوله تعالى فى سورة الشعراء : * فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين * إن هؤلاء لشرذمة قليلون * وإنهم لنا لغائظون *

قال الزمخشرى فى كشافه (ج ٣ ص ١١٥): « إن هؤلاء محكى بعد قول مضمر »

يقول الفقيد أحمد عبد الستار الجوارى تعقيبا :

« إن فى هذا الأسلوب الجميل أكثر من مظهر واحد من مظاهر الفنية التعبيرية ، فهو مركب من الحذف النحوى والإيجاز والفصل لشبه الانقطاع والالتفات .

وكثرة وروده فى العبارة القرآنية أمر يدعو إلى التأمل فقد عددت أكثر من عشرين موضعا لم يرد فيها فعل القول بلفظه أو بمعناه ، على الوجه الذى وضع النحاة حدوده حين بحثوا مسألة (إن) المفسرة . وشيوع هذا الأسلوب ينقض قواعدهم فى الحكاية ومقول القول .

أليس فى مايسبق القول المحكى من الكلام مايوحى به ؟

هذا أمر تنبه له غير واحد من الباحثين فى مسائل النحو ونقد مناهجه ، ولعل أولهم فى عصرنا هذا المرحوم الأستاذ إبراهيم مصطفى فى كتابه الجليل (إحياء النحو) .

* * *

إن موت أحمد عبد الستار الجوارى فجأنا وآلمنا وإنا على افتقاده لمحزونون ، نرجو أن يتغمده الله برحمته ورضوانه (وما عند الله خير وأبقى) سائلينه عزوجل أن يعوض العربية ومجمع اللغة خيرا ، إنه خير مسؤول .

عدنان الخطيب
عضو المجمع من سورية

---

(١) سورة يونس آية ٦٩ – ٧٠ .

٣ ـ كلمة فى تابين المرحوم الدكتور احمد عبد الستار الجوارى

للـواء الركن محمود شيت خطاب

بسم الله الرحمن الرحيم!

نودى للصلاة من يوم الجمعة الساعة الثانية عشرة والعشرين دقيقة٣ من جمادى الآخرة من سنة ١٤٠٨ الهجرية المصادف للثانى والعشرين من٢٢ من كانون الثـانى (يناير) من سنة ١٩٨٨ الميلادية .

وحين كان النداء يرتفع إلى عنان السماء، ويسعى المسلمون إلى الجوامع لذكر الله ، تخلف الأستاذ الحكيم أحمد عبد الستار الجوارى عن السعى إلى الجـامع الجار لأول مرة فى حياته ؛ لأن روحه فى تلك اللحظات التى ارتفع فيها النداء لصلاة الجمعة ، ارتفعت إلى جوار الله .

لقد رحل إلى رحاب الله ، ولن يفيده غير ماقـدمت يداه ، ولكن أرجو أن يفيـد الأحياء ما أقوله فيه والموفق فى دنياه من يستفيد من دروس غيره ، ليقول عنه الناس عند رحيله كما قالوا عن الجوارى، من كل قلوبهم : رحمه الله ، لقد كان رجلا صالحا طيبا .

(أ) نشأ فى طاعة الله سبحانه وتعالى ، وشب على تعلم الفروض الدينية وتطبيقها منذ نعومة أظفاره .

(ب) وكان حـين يخلو إلى نفسه ، يقرأ ماتيسر من القرآن ، وقد دأب على تلاوة القرآن يوميا ، وهو حافظ القـرآن ، ولكنه لايقرأ عن ظهر غيب ، ورعا من وقوعه فى الخطأ فى اللفظ أو القراءة ، والجديد هنا ، أنه كان يتقن قراءة السبعة ، وكان مرافقه الذى لايتخلى عنه فى الحل والسفر هـو مصحفه الصغير ، والمصاحف متيسرة فى غـرف داره كافة .

(ج) كان الفقيد رحمه الله يحـترم كل إنسان لأنه إنسان ، وصلته بالناس مبنية على أساس احترام إنسانية كل الناس ، لافرق بين غنى وفقير ، ومأمور وأمير ، وتابع ومتبوع ، ومسئول وغير مسئول . زاره مسئول كبير جدا فى داره بعد عودته من الحج ، فشيعه إلى باب الدار ، وزاره بعد ذلك فراش مكتبه فى وزارة الأوقاف ، فاحتفى به احـتفاء كبيرا ، وقدم له الضيافة بيده وشيعه إلى باب الدار كما شيع

المستقبل الكبير . كان يحترم الناس ويتواضع لهم تواضعا ظاهرا ، ويجعل كل من يلقاه يشعر بأنه محترم فى أعلى درجات الاحترام وقد نشأ الجوارى وترعرع محبا للعلم مقدما للعلماء ، وكان يندمج اندماجا كاملا مع أساتذته ، حتى يكاد أن يصبح أحد أبنائهم البارين بهم ، يزورهم ويكاد يتفرغ لقسم منهم ، كما تفرغ كاملا لشيخه وأستاذه الشيخ توفيق الناصرى العالم التقى النقى الورع الذى ترك بصماته العميقة على حياة الجوارى كلها وسلوكه وأخلاقه .

* * *

. ولما أصبح الجوارى أستاذا ، حرص على الاتصال بطلابه ، يزورونه فى داره ، ويفتح لهم قلبه ومكتبته ، ويجيب على أسئلتهم واستفساراتهم ، ويحل لهم مشاكلهم العلمية وغيرها أيضا ، ويفرح لفرحهم ، ويحزن لحزنهم ، ويتولى عيادة من مرض منهم ، فيسعى إلى دار الطالب أو إلى المستشفى الذى يرقد فيه لعيادته والاستفسار عن صحته ، ويقدم له الهدايا المناسبة فى زياراته .

لقد كان من مدرسة طلاب وأساتذة السلف الصالح : الطلاب الذين يعتبرون أساتذتهم آباءهم وأخوتهم ، والأساتذة الذين يعتبرون طلابهم أولادهم وإخوتهم ، حتى كان الأستاذ يعاون طلابه ماديا ما أحتاج الطلاب إلى المعاونة ، وما استطاع الأستاذ إلى ذلك سبيلا وكانت الصلة تستمر بين الطالب وأستاذه من المهد إلى اللحد ، كما يقول المثل ، ولاتنقطع أبدا بينهما مادام الوفاء من شيم أهل المروءات .

كان وفيا لأصدقائه ومعارفه وجيرانه ، عطوفا على أفراد عائلته ، صادقا فى أقواله وأفعاله مشاركا لأصدقائه ومعارفه وجيرانه فى أفراحهم وأتراحهم ، تقيا نقيا نزيها ورعا ، عالما أديبا ، رسول سلام ، حلال مشاكل الأفراد والجماعات والعوائل — تلك المشاكل التى يستعصى حلها على أقوى وأعقل الرجال ، يقول الحق ولو على نفسه ، جلدا صابرا على الشدائد كتوما لايفشى سره ولا أسرار الآخرين .

أما سيرة الفقيد العلمية فنوجزها فيما يلى :

أكمل الدراسة الابتدائية والثانوية فى بغداد ، ولكنه عكف على تلقى العلم من شيوخ بغداد ، فى ساعات فراغه يوميا ، وفى عطلة نصف السنة ، وفى أشهر العطلة الصيفية كان أقرانه يلهون . وكان يعكف على الدروس فى المدارس الدينية . وهى الجوامع فى أيامه وقد ذكرنا من تلقى العلم عنهم من الشيوخ ، فلا بأس من ذكرهم هنا أيضا ، وهم الشيوخ : توفيق الناصرى والشيخ قاسم القيسى ، والشيخ حمدى الأعظمى وغيرهم ، درس عليهم القرآن

والتفسير والحديث واللغة والأدب ، ودرس فى دار المعلمين العالية التى لقبت فيما بعد : كلية التربية ، وتخرج فيها بشهادة : الإجازة (الليسانس) بدرجة الشرف الممتازة سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٣ م) ، ثم أرسل فى بعثة إلى كلية الآداب فى جامعة فؤاد الأول ، وحصل منها على الإجازة (الليسانس) الممتاز فى الآداب سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٥م) ثم على درجة الاختصاص (الماجستير) بدرجة الشرف سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٧ م) وعاد من مصر إلى العراق ، وعين مدرسا فى دار المعلمين العالية ، فساعدا لعميدها وفى سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) التحق بجامعة القاهرة ، ونال درجة : العالمية (الدكتوراه) فى الآداب بمرتبة الشرف . وعاد إلى بغداد للاشتغال بالتدريس فى دار المعلمين العالية — ثم شغل عدة مناصب إدارية آخرها منصب للمدير العام لوزارة التربية والتعليم بعد ثورة سنة (١٣٧٨ هـ) المصادف (تموز ١٩٥٨ م) . ثم عين عميدا لكلية الشريعة وأستاذا فى كلية التربية حتى سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)

وقد رشحه علمه وخلقه وحرصه واستقامته ، إلى تولى وزارة التربية والتعليم فى شباط سنة ١٩٦٣ م إلى شباط ١٩٦٤ م ، وظل يمارس خلال مدة وزارته التدريس فى جامعة بغداد حتى أوائل سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) ، حيث أعيد تعيينه وزيرا للتربية والتعليم فى سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م حتى سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) ، ثم عين وزيرا لشئون وزارة الجمهورية حتى سنة ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) ، ثم وزير دولة فوزيرا للأوقاف حتى سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

وقد انتخب عضوا عاملا فى المجمع العلمى العراقى من سنة ١٣٨٥ هـ إلى ١٣٩٨ هـ (١٩٦٥ م إلى ١٩٧٨ م) وأعفى من المجمع نحو سنة ، وأعيد إليه سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) واختير عضوا مراسلا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ثم انتخب عضوا عاملا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى مطلع سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) ، كما اختير عضوا مراسلا فى مجمع اللغة العربية بدمشق ، وعضوا مراسلا فى مجمع اللغة العربية الأردنى ، وعين عضوا عاملا فى المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية فى الأردن .

وانتخب نقيبا للمعلمين فى العراق مرتين : الأولى سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) . والثانية سنة ١٣٩٨ هـ (١٩٦٨ م) ، كما انتخب رئيسا لاتحاد المعلمين العرب من سنة ١٣٨٩ هـ إلى ١٤٠٢ هـ (١٩٦٩ م إلى ١٩٨٢ م) .

وله أبحاث وكتب منشورة هى :

(١) الحب العذرى — نشأته وتطوره .

(٢) الشعر فى بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى .

(٣) نحو التيسير .

(٤) نحو القرآن .

(٥) من دلائل القدم فى اللغة العربية .

(٦) رأى مصادر الأفعال الثلاثية (مجلة المجمع العلمى العراقى) .

(٧) حقيقة التضمين ووظيفة حروف الجر .

(٨) الوصف — نظرة فى قضايا النحو العربى .

(٩) البيان — نظرة أخرى فى قضايا النحو العربى .

(١٠) الوصف بالمصدر .

(١١) الوصف بالجملة .

(١٢) ضروب الصفة — نظرة أخرى فى قضايا النحو العربى .

(١٣) ضبط عين المضارع الثلاثى .

(١٤) نحو المعانى .

(١٥) اللغة والبحث العلمى .

(١٦) أسلوب التفضيل فى القرآن الكريم .

وعلى أهمية الكتب التى وضعها ، والأبحاث التى نشرها ، إلا أن المتوقع منه ومن أمثاله أكبر بكثير من هذه الكتب والأبحاث ، ويبدو أنه شغل بالتدريس أستاذا وبالوظائف الإدارية موظفا ، وبالوزارة وزيرا ، وشغل أكثر من كل ذلك بصلاته الاجتماعية التى شغلت كل أوقات فراغه .

وقد حرمت العربية لغة والإسلام من إنتاجه الفكرى المتميز الأصيل .

كان وفيا لأصدقائه وزملائه وطلابه ، يشاركهم الأفراح والأتراح ، ويعتبر ذلك واجبا لا يجوز التهاون فى حمله أو التخلى عن أدائه .

لقد جمع الفقيد فى برديه العصامية والذكاء وطوى فى عمره القصير أثارا طويلة ، فى تحصيل العلم ، والجهاد ، واستقطاب الأهل والأصدقاء والأصحاب والجيران والمعارف من حوله .

ولم يكن طريقه مفروشا بالورود والرياحين إذ اعترضته العقبات فذللها فى كياسة كأن به حصانة ضد اليأس ، وكأن الدهر قد عركه بعزم لا يلين .

عاش عف اليد والضمير ، مذكورا مشكورا بكل لسان ، حسن الصحبة ، مأمون السريرة ، يكره عداوة الرجال ، ولكنه يكره الفرار إذا أكره على النضال .

وعاش عفا زاهداً فيما يشبع الرغباب ، لا يأكل إلا ما يمسك الرمق ، أما عقله فيتزود من الغذاء أطيبه ، وأما روحه فطعامها سماوى علوى . كما عاش فى محراب العلم والدين والعمل للغير ، ولبلده ولأمته .

لقد اجتمعت كل هذه الصفات فى شخصيته ، فتضخم رصيده فى حساب المجد .

ولإخوانه فى كل مكان ، يعرفون فيه ما كان من سماحة : فبل خلق ، ونفس طيبة تتجافى عن العنف إلا فى الحق وتستمسك بالاتزان والوقار الذى لا تشوبه شائبة من شوائب التكلف أو التصنع . .. وإذا ما عنت قضية مشكلة ، تدبرها فى تواضع العالم ، وتكلم فكان قوله الفصل فى كثير من مشكلات اللغة والعلم .

إن المجمع العلمى بالعراق ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة إذ يودّعان عضوا جليلا من أعضائه المخلصين ، ليستمطران شآبيب رحمة الله على جدثه الطاهر . جعلنا الله وإياه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

إن عبد الستار حين تولى
هدركنا ما كان بالمهدود
ما درى نعشه ولا حاملوه
ماعلى النعش من عفاف وجود

والحمد لله كثيرا ، وحسبى الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وإنا إليه راجعون . وصلى الله على سيدى ومولاى رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين .

محمود شيت خطاب
عضو المجمع المراسل من العراق

٤ ـ كلمة الختام

للدكتـور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

الشكر الخالص للزميل الدكتور عدنان الخطيب على الدراسة الشاملة المستوعبة لتاريخ المغفور له الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ، والشكر الخالص للزميل الأستاذ عبد السلام هارون على أداء رسالة الغائب ، والشكر الخالص لكم جميعا على تفضلكم بمواساتنا فى مصابنا ، ورحم الله الفقيد رحمة واسعة .